

لصراع الطبقات

القمح والأغذية الملوثة المستوردة، والمبيدات والأسمدة المسرطنة الإسرائيلية المنبع، وارتفاع معدلات التلوث البيئي إلى أضعاف النسب المقبولة عالمياً (أخيراً نالت القاهرة المرتبة الأولى في نسبة التلوث على المستوى العالمي).

ويشير تقرير صادر عن «برنامج الأمم المتحدة للإنماء والتنمية» بشأن الأوضاع الصحية للمصريين إلى إصابة 5 ملايين مصري بفيروس الالتهاب الكبدي الوبائي (فيروس C)، وإلى تزايد بمعدل 750 ألف حالة سنوياً، حيث أصبحت مصر تحتل المرتبة الأولى على المستوى العالمي للمصابين بهذا المرض.

وهناك - حسب التقرير نفسه 4 ملايين مواطن مصري مصاب بمرض السكر، و 14% من المواطنين يعانون من حساسية الصدر، وما يقرب من 15 مليون مصري مصاب بالأنيميا، ويصاب أكثر من 100 ألف - سنوياً - بالسرطان، بينهم نسبة ملحوظة من الأطفال، وأكثر من 25% من المصريين مصابون بفقير الدم.

التحدي والاستجابة

على هذه الخلفية التي عرضنا جانباً يسيراً منها وإن كان ذا دلالة، عاشت مصر طوال أشهر العام الماضي وما

نرصد فيما يأتي ما أمكننا حصره من حصاد شهر واحد فقط من الأنشطة الاحتجاجية التي نمت إلى علم الكاتب، سواء من مصادر صحفية، أو عبر الجماعات القانونية والحقوقية، أو من خلال العلاقات الشخصية والعامية. مع وجوب الإشارة إلى أن هذا السجل لا يتضمن بأي حال من الأحوال كل التحركات الواقعة في تلك المساحة الزمنية المرصودة، إذ إنه من المؤكد بقاء تحركات عديدة غير مدونة في هذا السجل المركز:

■ **يوم 2007/7/1**: احتشد مئات من مدرّسي «الأزهر الشريف» في أول تحرك جماعي واسع منذ الحملة الفرنسية، وأواخر القرن الثامن عشر، لتأكيد عزمهم على الرد الحاسم على الحكومة إذا نتصلت من عهدهما بتطبيق كادر المعلمين عليهم. وفي اليوم نفسه نظم عمال شركة غزل المحلة وقفة احتجاجية للمطالبة بحقوقهم وللاعتراض على قرارات إدارة الشركة التي تضر بأوضاعها وبصالحهم، وأعلن مدرّسو المدارس الخاصة استعدادهم للتحرك من أجل ضمهم إلى كادر المعلمين.

■ **يوم 2007/7/2**: كثر 27 ألف عامل في «شركة غزل المحلة» وفتنهم الاحتجاجية في مواجهة زيارة وزيرة العمل وزير الاقتصاد، واعتصم 3600 عامل من عمال المعاش المبكر بالترسانة البحرية بالإسكندرية، بسبب عدم صرف مستحقاتهم المالية، واعتصم نحو 200 موظف من العاملين بعقود مؤقتة في الوحدات الصحية احتجاجاً على الامتناع عن تجديد هذه العقود.

■ **يوم 2007/7/4**: 500 عامل في مصنع قوطة للصلب، بمنطقة «العاشر من رمضان»، ينفذون اعتصاماً استباقياً احتجاجاً على تمكن المستثمر الإيطالي الجنسية من المؤسسة، واقتحامه للصنع بالأسلحة النارية، متسبباً بإصابة ستة عمال بإصابات خطيرة.

■ **يوم 2007/7/5**: عمال مديريات التموين (70 ألف عامل) يهددون بالاعتصام لحرمانهم الحوافر، وتجمهر تجار العلف أمام مكتب وزارة التموين احتجاجاً على عدم تسلم الحصة المقررة لهم من الأعلاف. 1500 عامل في شركة «السويس للإسمنت» يعتصمون احتجاجاً على تربي أوضاعهم، والمرشدون السياحيون يجددون اعتصامهم احتجاجاً على تعسف شركات السياحة.

■ **يوم 2007/7/6**: العاملون بهيئات التنمية المحلية في محافظة «بنى سويف» يحتشدون احتجاجاً على عدم صرف رواتبهم منذ أربعة أشهر، وعمال شركة «السويس للإسمنت» يعلقون اعتصامهم بعد التعمد بحل مشاكلهم، و400 عامل وعاملة في مستشفى الأقصر الدولي يهونون اعتصامهم بعد الاعتساجية لمطالبتهم، وحسني مبارك يصدر قراراً جمهورياً بضم 250 ألف من معلمي الأزهر إلى الكادر تهدئة لثورة المعلمين، وأضرّب عمال «مصنع الحرائق» بالحلّة الكبرى عن العمل احتجاجاً على انخفاض قيمة الحوافر ومتحرك الإنتاج.

■ **يوم 2007/7/8**: 300 عامل بشركة «رباط السفن» في بورسعيد يضربون عن العمل، والشركة تهدد بفصلهم، والعاملون في مديرية تعليم السويس يعتصمون حتى الاستجابة لمطالبهم، والعمال المؤقتون بشركة «مصر لتكرير البترول» في طنطا، يعتصمون مطالبين بتثبيتهم.

■ **يوم 2007/7/9**: عمال «الترسانة البحرية» بالإسكندرية يتظاهرون للمطالبة بصرف علاواتهم المتأخرة، و285 من عمال شركة «الرباط وأنوار السفن» ببورسعيد يتظاهرون، والاعتصام يمتد إلى فروع الشركة بالسويس والإسماعيلية، وموظفو عمال مدارس السويس يضربون احتجاجاً على استبعادهم من كادر المعلمين الجدد.

■ **يوم 2007/7/10**: اعتصام 3330 عاملاً بالترسانة البحرية بالإسكندرية، من المحالين على العاش المبكر، مطالبين بمحاكمة رئيس مجلس الإدارة ورئيس اللجنة النقابية (الرسمية) بالشركة احتجاجاً على خصخصة الترسانة والمطالبة بحقوقهم القانونية، واعتصام مواطنين في دمياط بسبب اختفاء الخبز، و4000 مواطن من قرية «بنشيش» في محافظة الغربية يتظاهرون احتجاجاً على انقطاع المياه، و250 فلاحاً من قرية «القنان» يواصلون الاعتصام احتجاجاً على عدم وصول مياه الري إلى أراضيهم.

■ **يوم 2007/7/11**: احتشد 900 عامل من العمال المؤقتين في «شركة الوانتي»، إحدى شركات «هيئة قناة السويس»، للمطالبة

والتعنت، وتجاوزات أجهزة الأمن في التعامل العنيف، وغير المبرر، معهم!

الاحتجاج في مواجهة التوحش

وقد رصد «مركز الأرض لحقوق الإنسان»، في دراسته



تخرج من منزلها في أحد أحياء القاهرة القديمة (أرشيف - رويترز)

حصاد شهر واحد!

■ **يوم 2007/7/22**: 150 سائناً يتجمعون بضاحية «عين شمس» احتجاجاً على تحويل ساحة الانتظار إلى مقلب قمامة. و350 عاملاً في شركة «السيوف للغزل والنسيج» يبدأون إضراباً مفتوحاً اعتراضاً على بيع الشركة إلى مستثمر «سيء السمعة!» و120 ألف فلاح بمحافظة الدقهلية يهددون بإضراب مفتوح احتجاجاً على أزمة مياه الري التي سببت بوار 11 ألف فدان من الأراضي الزراعية. وتواصل الاحتجاج على نقص مياه الشرب التي أجبرت المواطنين على شرب مياه المنازل الصحية.

■ **يوم 2007/7/23**: الأمن يجبر عمال شركة «السيوف للغزل والنسيج» على فض اعتصامهم بالقوة، ويعتقل عدداً من قادتهم. ومجلس إدارة شركة الترسانة البحرية بالإسكندرية يتراجع أمام ضغط العمال ويلبّي مطالبهم. وأهالي جماعة «القرآنيين» المعتقلين ينظمون وقفة احتجاجية أمام مكتب النائب العام في محكمة جنوب الجيزة، وحقوقيون يهددون بوقفة احتجاجية اعتراضاً على «مذبحة أشجار المريوطية». وسكان أربع قرى بالدقهلية يهددون بمسيرة احتجاجية حاشدة أمام مجلس الوزراء، بعدما اعترف مسؤول بأن «مياه الشرب ملوثة بالمجاري!».

■ **يوم 2007/7/24**: أهالي «رفح المصرية» يخرجون في تظاهرة ضخمة احتجاجاً على قرار السلطة إزاحة منازلهم 150 متراً إلى الخلف تلبية لطلب إسرائيلي، ويهددون باعتصام مفتوح إذا تجاهل الحكم مطالبهم. وأصحاب البازارات في وادي الملوك يبدأون الإضراب عن الطعام، وتدخل الأمن أحيط إضرابيين ممانئين في الدير البحري ووادي الملوك، و20 ألف مواطن في الدقهلية يهددون بالاعتصام حتى تحل الحكومة مشكلة المياه، وفلاحو قرية «كفر غنام» بالسنبلاوين مستمرون في اعتصامهم لليوم السادس على التوالي احتجاجاً على تجاهل المسؤولين مطالبهم بتوفير المياه لإنقاذ 1200 فدان من البوار بعد جفاف الترع الرئيسية بالقرية. ومواطنون قرى بني سويف يتجمعون بسبب تلوث المياه وانقطاعها.

■ **يوم 2007/7/25**: 200 عامل ببنفق «مريديان هيلوبوليس» يعتصمون احتجاجاً على عدم صرف نسبتهم من الأرباح. وعضو مجلس الشعب محمد عبد العليم داود يبدأ الإضراب عن الطعام احتجاجاً على عدم وصول مياه الشرب إلى دائرته بكفر الشيخ.

■ **يوم 2007/7/26**: الرابطة العامة لقائدي القطارات ومساعدتهم تهدد بتنظيم اعتصام مفتوح مصحوب بالإضراب عن الطعام في حال إجبارهم على الانتقال إلى شركة مترو الأنفاق المزمع إنشاؤها. وعمال شركة «المصرية للمعدات التلفزيونية» يمتنعون عن تسلم رواتبهم عن شهر تموز/ يوليو، ويهددون بالإضراب المفتوح عن الطعام بمقر الشركة، احتجاجاً على عدم صرف العلاوة المقررة. وفي الإسكندرية 30 أسرة تتظاهر احتجاجاً على رفض قبول أطفالهم بمدارس الحضانة.

■ **يوم 2007/7/27**: 450 عاملاً بشركة «هيئة موانئ البحر الأحمر» في السويس، يستكملون استعداداتهم النهائية لتنظيم إضراب شامل عن العمل، احتجاجاً على رفض الهيئة تثبيت العمالة المؤقتة وامتناعها عن صرف الحوافر والبدلات. وأهالي «الروضة» ببلقاس مستمرون في اعتصامهم لليوم التاسع، بسبب أزمة المياه. والفلاحون في السنبلاوين يهددون بتصعيد الاعتصام الذي دخل يومه الثامن، ويعلمون بدء الإضراب المفتوح عن الطعام.

■ **يوم 2007/7/28**: محافظتا المنيا وقنا تنضم إلى «ثورة العطشانيين»، والسخط على الانقطاع المستمر للمياه يعم 15 قرية من قرى مركز أبو قرقاص، و42 قرية «عطشانة» في الدقهلية، و5000 مواطن في «الهريف» يهددون بالاعتصام ويشربون من البحر! وكشفت «عاطف السيد»، رئيس مجلس محلي بمرکز ههيا - محافظة الشرقية - عن «وجود تعليمات حكومية بضرورة حل أزمة مياه الشرب بأي شكل، حتى لو تطلب الأمر ضخ مياه المجاري

المهمة المعنونة «الاحتجاج في مواجهة التوحش»، الصادرة في تموز/ يوليو 2007، وقوع 283 حالة احتجاج في النصف الأول من العام الجاري بالقطاعات الثلاثة: الحكومي، والخاص، والأعمال العام.

من هذه الأنشطة الاحتجاجية التي قامت بها الطبقة العاملة المصرية: 117 حالة تجمهر، و85 حالة اعتصام، و66 حالة إضراب عن العمل، و15 حالة تظاهر، إضافة إلى العشرات من حالات الإضراب والاعتصام والتظاهر والاحتشاد، قام بها الأكاديميون الجامعيون، والقضاة، والمهندسون، والفلاحون، والطلاب، والصحافيون، والمطالبيون بديل عن مساكنهم المهتمة، والمتضررون من انهيار مؤسسات الدولة ونتائجها الكارثية، والمطالبيون بمياه نظيفة للشرب ومياه لري الأرض الضمّانة، والمتحجون على التجاوزات الشغلة لأجهزة الأمن... وهلم جزءاً في أوسع حالة احتجاج شعبي تاريخي دشتها حركة «كفاية» بتظاهرتها الرائدة التي انطلقت من أمام «دار القضاء العالي» في قلب القاهرة، يوم 22 كانون الأول/ ديسمبر عام 2004، مطلقاً دوامات من التفاعل، ومشجعة على كسر حاجز الخوف من القمع، ومتحدية تقاليد العمل السياسي الحزبي المستقرة لأكثر من ثلاثة عقود بالتزام السكن في المقار الحزبية، وإطاعة تعليمات السلطة بعدم تجاوزها - بأي حال - إلى الشارع!

إلى المواطنين لإسكاتهم!!»، وموظفو الطب الشرعي يتظاهرون أمام وزارة العدل احتجاجاً على إلغاء تعيينهم، فيما قرر أهالي رفح تأجيل اعتصامهم انتظاراً لوعود المحافظ بوقف إرجاع الشريط الحدودي المصري مع دولة الاغتصاب الصهيوني 150 متراً إلى الخلف، (تفجرت الأحداث فيما بعد وأدت إلى صدامات دامية شارك فيها الآلاف من المواطنين ضد قوات الأمن المركزي، وسقط فيها عشرات الجرحى، وقتل الأمن طفلاً صغيراً بطلق ناري).

■ **يوم 2007/7/29**: أهالي «كفر التربة القديمة» بشربين، يبدأون اعتصاماً مفتوحاً احتجاجاً على عدم وصول مياه الشرب إليهم، وفلاحو «كفر غنام» يواصلون اعتصامهم لليوم العاشر على التوالي، لعدم وصول مياه الري لأكثر من 1200 فدان من أراضي القرية، وفلاحو «بلقاس» مستمرون في الاعتصام للسبب نفسه بالرغم من تصاعد ضغوط أمن الدولة. وأهالي المعتقلين بمصيف مرسى مطروح، من الأطفال والنساء، يتظاهرون أمام «المجلس القومي لحقوق الإنسان»، وقضاة مجلس الدولة يهددون بالاعتصام احتجاجاً على إهانات المستشار «مدوح مرعي».

وزير العدل لهم، وفي بني سويف إضراب لموظفي الإسكان، احتجاجاً على عدم صرف بدل التفرغ. و284 بحاراً في بورسعيد يهددون بالاعتصام احتجاجاً على تجميد نقاباتهم وعدم صرف مستحقاتهم، والعاملون في «الشركة المصرية للمطارات» يبدأون اعتصامهم التصاعدي. وعمال «مؤسسة الهلباوي للبلاستيك» يحتشدون احتجاجاً على تعمّد صاحب المصنع «أكل حقوقهم»، والتمهيد لتصفيتهم وطرد عماله. وأهالي رفح يتظاهرون مجدداً احتجاجاً على هدم منازلهم.

■ **يوم 2007/07/30**: تظاهرة لحزب التجمع ونشطاء سياسيين، احتجاجاً على بيع «بنك القاهرة» للأجانب، وهتافات ولافات تندد بحكم مبارك، وتظاهرة لموظفي ومدوعي فروع «بنك القاهرة» بالإسكندرية احتجاجاً على بيع البنك. ونشطاء «نوبيون» يقيمون دعوى قضائية ضد الحكومة «التي باعت أراضيها»، ومسيرة سلمية لأهل النوبة يقمها الأمن بالقوة. و700 مواطن من ساكني العيش (الأكوخ) في بورسعيد يتظاهرون أمام مكتب المحافظ احتجاجاً على رفض المحافظة تسليمهم وحدات سكنية، و500 فلاح يتجمعون أمام المقر المركزي ل«بنك التنمية الزراعية» مطالبين بالسماح وإلا فالاعتصام أمام فروع البنك. واشتباكات بين الأعضاء والأمن في انتخابات الاجتماعيين بنقابة القاهرة، بسبب انحياز الأمن لمرشحي الحكومة. و350 عاملاً بمصنع «الحنّاوي» بدمهور يهددون يوم 5 آب/أغسطس، موعداً لبدء إضرابهم الشامل ويسحبون الثقة من لجنّتهم النقابية (الرسمية) لتواطؤها مع الإدارة.

■ **يوم 2007/7/31**: أكثر من 700 من متخرجي «معهد المحصلين والصيغارة» يتظاهرون أمام مجلس الشعب مطالبين بحقهم في التعيين بالضرائب العامة. وموظفو الطب الشرعي يبدأون (إضراباً حتى الموت)، أمام وزارة العدل، ومجلس الدولة يتقدم بإبلاغ النائب العام يتهم فيه وزير العدل، ومدوح مرعي، بالسب والقذف. والمئات يتظاهرون في «صفت اللين» ب«الجرانك» (الحاويات البلاستيكية) احتجاجاً على انقطاع المياه منذ ثلاثة أشهر ويهددون بقطع الطريق الدائري إذا لم تتم الاستجابة لمطالبهم (وقد تم تنفيذ هذا التحذير فيما بعد). والمواطنون يعتصمون في مدينة «شبين القناطر» بمحافظة القليوبية للسبب نفسه. ومواطنون قرى بني سويف يرفضون قبول مياه الشرب التي أرسلتها الحكومة لأنها منقولة في «تنتكات» تستخدم في «كسح المجاري» والمخلفات البشرية وفي محافظة الدقهلية المواطنون يتجمعون أمام مكتب المحافظ «لاستمرار أزمة مياه الشرب للأسبوع الثالث على التوالي دون حلول حقيقية»، والشريطة تحاصر قرية «نشوى» واشتباكات بالبرص والقنابل المسيلة للدموع بين الأمن والأهالي، والاشتباكات تتجدد بين الأمن ومئات من مواطني سيناء الذين كانوا يتظاهرون للمطالبة بتسجيل الأراضي التي يملكونها، وبإطلاق سراح أبناءهم المعتقلين منذ تفجيرات 2004، وقوات الأمن تستخدم الغازات المسيلة للدموع، والمتظاهرون دمروا نقطة تفتيش مروية، وأطلقوا النار على الأمن وقطعوا الطريق بين العريش ورفح.

* مهندس وأحد مؤسسي حركة «كفاية» في مصر